

المقامة الثالثة تسمى الدوايرية

تتضمّن رحلة ابن عيسى و عدّه للدواير السبعة و تذكره و تأسّفه و ضحكه و بكايه

حدثنا امحمد بن العربي قال كنت في فصل الربيع، لما ذهب عنا البرد و الزيع، طلعت إلى دوار اولاد بن عوالي، الساكنين من الاحوالي، فلما وصلت ساحتهم، و دخلت مراحهم، عجت إلى شريعتهم، لاجلس مع طلبتهم، فوجدت ستارها مشرّع، و حصيرها مرّج، فجلست بعد ما سلمت، واستأنست بعد ما أمنت، في موضع راقبة الاماكن، باهية المحاسن، و نحن ننظر إلى النبات الاخضر، و هو يلمع في نظر البصر، و الكلام بين الطلبة ينهدر، قال ابن العربي فبينما نحن في انواع الحديث، متمازحين في الحديث، إذ طلع علينا شخص من ناحية الاقصارى، و اجنة كرموس النصارى، عليه هياة المهوم، و بلغته محزومة بعقاد من الدوم، فصرنا من بعيد ننظر إليه، و هو يقرب نحونا بخطو قدميه، و نحن بين تعريفه و تكثيره و نتأمل من أي الشعب شعبيه، فلما دنى منا و تسامط ساحتنا، عرفناه انه علامتنا ابن عيسى، مضيع بيض الحجلة في الديسى، فقمنا إجلالا له، متباشرين لاطلاله، فسلمنا عليه و ادخلناه، و في احسن المواضع اجلسناه، و سالناه عن حاله، فحمد الله و اثنى عليه، و صلّى على سيدنا محمد صلّى الله عليه و سلّم و على اله، و صارت ينابيع الحكمة تفجر من فمه، قال له احد من الطلبة فمن أي موضع اتيت يا شيخنا، حتّى الفيت علينا، فقال اتيت من اهلي، الذين هم في قطع الواد القبلي، فقال له الطالب من اين ناسك، و من هو اصلك، فقال له ابن عيسى اتجهل اصلي يا طالب ربّ العالمين، فقال له الطالب نعم انك من الاقدمين، فغار الشيخ في الضحك حتّى بانّت له ضرسة العقل، ثمّ طرق براسه الى الارض ساعة و هو يتأمل، و رفع عينيه الى السما و لم يقل قل، ثمّ انه قام و جلس، و كوّش وجهه و عبّس، و قال دونك ايّها الطالب رحلتي، ان شيئت تعلم المواضع التي نزلتهم بخيمتي، و شرع يزهزم راسه، و يحكّ طرفه، و يقول العرابيية، و العمايمة، و السعايدية، و السهايلية، و الشرايطية، و الجلايلية، و اولاد بن

عوالي الله يلعنهم، الله يلعنهم، الله يلعنهم، و الله الحمد، ثم صمت ساعة و هو ينظر الى الطلبة يمينا و شمالا، و يتطنّب سرا و استعلالا، ثم رمى جمرتيه اليّ، و ردّ كلاحه عليّ، و قال لي يا ابن العربي، أعلمت بما اقتضاه مأربي، فقلت له ان نطلبك ان تشرح لنا ما خرجته، و من خزنتك جبدته، مننته علينا، و ان نسكت عليك لم نجد من علمك شيا لدينا، فبعبع كما يبيع الكبش الحايل، و تنهّد كما يتنهّد صاحب الحمل المايل، ثم تأسّف كما يتأسّف المحموم، و غاب عن حاله كأنه يشرب كأسا من الروم، و تفهقر متحنحا للكلام مؤهّلا، و شرع يشرح ما ذكره مفصّلا، فقال امّا نسبتي الى دوار العرايبيّة فقد كنت في عام اليبسة سكنتهم بخيمتي، و حصلت طول السنة على ضنك عيشتي، و كنت تارة ارعى الدواب، و تارة اقصد الاحباب، و امّا نسبتي الى دوار العمايبيّة فقد قمت فيهم درويشا، و لازمت عندهم خريشا، و كنت ادريق على الارض مع الزاهدين، و اهتزّ في حلقة الراكضين، فلما طلعت ضماتهم، تركت سبيلهم، و دخلت زمرة الطلاب، و احسن همّة ادبا، و امّا نسبتي الى دوار السعايدية فكنت عاشرت كبيرهم الحاج غوال، و قاسيت معه جملة الاهوال، حتّى وصلت غلّة الافوال، و انتقلت من عندهم بعد ما خسرت الاموال، و امّا نسبتي الى دوار السهايليّة فصاحبت فيهم ابن الكمشة، و كنت لا افارق رحله من الزمان رمشة، فلما طال الحال، و خاب التأمل، وجدت لسانه رطيب، و في خصاله معيب، و هو معتكف على مشط لحيتيّه، و تبرّم شلاغميّه، فانسلت منه كما ينسل الخلال، و تركت خلطته و ما تحدّث لي ببال، و امّا نسبتي الى دوار الشرايطيّة، فكنت فيهم مع عبد القادر اشرايط، و هو على النهار في الكذب يخيّط، و لقضا حوايجه مفرط، فانطلقت من عنده و تركته مفليط، و امّا نسبتي الى دوار الجلايليّة فقد نزلتهم و صرت فيهم فلاّحا، و لكسب البقر والغنم صباّحا، و كثر عندي اللبن حتّى صارت شكوتي تقول في ذي مخضها، على لسان حالها، ذات بهجة، ذات بهجة، ذات بهجة، و كان ولد انتقرّ جاري، عنده معزات و عجاري، و كان عنده من اللبن قليل و شكويته تقول عند ذي مخضها، على لسان حالها، قوّارّا، قواررا، قواررا، و رجعت ذا برونوس زغداني، و حايك اسكندراني، فبينما انا في هذه

الحالة شديد، و كوكبي في الفلك سعيد، اذ في ليلة دخلوا عليّ السراق، و نهبوا رزقي بالاتفاق، فاصبحت خيمتي ماسية كالرمس، ممسية كأن لم تغن بالامس، فساقتني القدرة الى دوار اولاد بن عوالي، فنقدّر فيه همّي و تهجالي، و صار من الفقرا حالي، فحينئذ تغرغرت عيناه بالدموع، و غشى عليه حتّى خشينا عليه الرجوع، فلمّا راينا حاله حال الغريق، و احمرّ بصره من الرميح، قلنا لاحد من الطلبة اذهب الى خيمتكم، و أت بشيء من طعامكم، فغاب الطالب قليلا ثمّ اتى بجفنة طعام، و طرحها في وسط الازدحام، فتقدّم الشيخ ابن عيسى و مسح عيناه، و صار يلقّم يملا فاه، و عرض على ما كان عليه و نساها، فلمّا شبع، و بالما اقتنع، قام و تكسلّ كما يتكسلّ الغول، و ذهب و ترك الطلبة في احوال المنوال.